الاســـــراء

بقلم فضيلة العالم الجليل

السيد محمد البيلاوى

« ألقى صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل السيد محمد البيلاوى نقيب الاشراف بالديار المصرية ، خطبة قيمة عامرة تناول فيها مسألة «الاسراء» وكان ذلك في الاحتفال الرسمى بليلة الاسراء بجامع الرفاعى ليلة ٢٧ رجب ١٣٥٠ هـ . وتفضل فبعث بها الينا فرأينا أن ننشرها لما حوت من آراء جليلة ، شاكرين » المحرر

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير »

(قرآن كريم)

اتفق المسلمون على أن المراد بالعبد فى الآية الكريمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأجمع المؤرخون وعلماء السير على أن الله جلت قدرته أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس فى ليلة السابع والعشرين من رجب قبل الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.

ورأى بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفريق من المسلمين أن الاسراء كان بالروح الطاهرة فقط . أطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم فى نومه على شىء من آياته وأراه المسجد الأقصى ، وصلى فيه بالأنبياء والمرسلين إماماً ، قالوا: ورؤيا الأنبياء صادقة لأنها نوع من الوحى واستدلوا على ذلك بقوله تعالى فى هذه السورة: «وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس» ولكن استدلالهم بهذه الآية ـ على ما ذهبوا اليه من أن الرؤيا منامية ـ لا يثبت لهم ما ذهبوا اليه لأن الرؤيا التى فى هذه الآية لم تكن نصا فى الاسراء ، بل يجوز أن يكون المراد بها رؤيا التى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، أو رؤياه المبشرة بفتح مكة . ولما كانت الرؤيا التى فى هذه الآية غير نص فى الأسراء ، أصبحت الآية غير صالحة أن تكون لهم دليلا ، فلا تقوم لهم بها حجة على ما ذهبوا اليه ، ولو كان الأسراء رؤيا منام ما دهش المشركون وملكهم العجب لما سمعوا رسول الله يخبر بذلك ، وما سارعوا إلى تكذيبه ، وما ارتد ضعفاء الايمان عند سماع ذلك ورجعوا بعد إيمانهم كفاراً.

على أن الرؤيا المنامية لا تستبعد من أى إنسان كائنا من كان، فاذا حدث الناس شخص بأنه رأى فى منامه أنه انتقل إلى البلاد الشاسعة والأقطار المتباعدة وأنه رأى من الأعاجيب ما لا يخطر ببال لا يعد من سامعيه إنكارا عليه ولا جحوداً ولا تسفيها له ولا تكذيبا .

فاستنكار المنكرين لقول النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بما عاين دليل صريح وبرهان واضح على أن الاسراء كان بجسمه وروحه الطاهرين، لهذا أجمع جمهور المسلمين من الصحابة وغيرهم على أن الاسراء بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم كان بجسمه وروحه الطاهرين، ولا مانع عقلا من ذلك، فان الحركة المتناهية فى السرعة بالأجسام جائز حصولها فى هذا الوجود، بل هى موجودة بالفعل وإن لم تدركها العقول بادئ ذى بدء، وليس كل ما لا تصل العقول إلى إدراكه مستحيل الحصول لذاته، بل ربما كان من أقرب الممكنات وأيسرها، فلو أن مخبراً أخبرنا قبل أعوام مضت أن قناطير من الحديد تطير فى الجو وتحمل ما شاء الله أن تحمل من الأجسام اللطيفة والصلبة، وتقطع المسافات البعيدة جداً فى الوقت القصير جداً ـ لكنا بلا شك لا نصدقه، بل نبادر إلى تكذيبه لأن إخباره بذلك خارج عن دائرة تفكيرنا ومألوفنا فى ذلك الوقت، وبعده عن دائرة تفكيرنا ومألوفنا لا يجعله مستحيل الحصول لذاته بدليل وجوده الآن، وما يدرينا إلى أى حد تصل سرعة الحركة بعد قليل من الزمن ما دامت العقول الكبيرة دائمة البحث لكشف أسرار هذا الوجود؟ وإذا كانت هذه الاعمال والآثار فى مقدور المخلوق ـ وما أوتى من العلم إلا قليلا ـ فما بالك بالعليم الحكيم الذى وسعت قدرته كل شىء وأحاط علمه بما ظهر وما خفى .

بهذا نتحدث لاقناع من يحكم عقله المحدود بالشاهد المحسوس وهو غافل عن عظيم قدرة الله تعالى وسعة علمه .

أما العليم بعظم القدرة الالهية فيرى أن الاسراء بالنبى صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس فى جزء قليل من الليل معجزة له صلى الله عليه وسلم أجراها الله على يديه تأييدا لرسالته وتحديا لمنكرها، وهى بمنزلة قول الله تعالى : صدق عبدى فيما يبلغ عنى . والمعجزة يجب أن تكون خارقة للعادة مخالفة للقانون جارية على يد رسول .

فالمسلم الصادق فى إسلامه متى صدق بنبوة محمد عن عقيدة وبرهان يجب عليه أن يقبل كل ما جاء به هذا النبى الأمين المأمون بدون بحث ولا تفكير، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، وقد أخبر الله تعالى بأنه أسرى بعبده «محمد» ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فى تلك الليلة عرج به إلى الملأ الأعلى وأراه الله من آياته الكبرى وأوحى اليه ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات فى اليوم

(البقية على الصفحة رقم ١١٢٠)